نخفت فرجعت الى خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا
فانزل الله تعالى يا ايها المدثر • وثانيهما ان ابا جهل وابا لهب وابا
سفيان • والوليد بن المغيرة • والنضر بن الحرث • وامية بن خلف
والعاص بن وايل • والمطعم بن عدي اجتمعوا وقالوا ان وفود العرب
اجتمعوا وقالوا ان وفود العرب مجتمعون في ايام الحج وهم يسالون
عن امر محمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفتم في الاخبار عنه فمن قايل
هو مجنون وقايل كاهن وقيل ساحر وتعلم العرب ان هذا كله لا يجتمع
في رجل واحد فيستدلون باختلاف الاجوبة على انها اجوبة باطلة فسموا
محمدا باسم تجتمعون عليه وتسمية العرب به فقام رجل منهم فقال
انه شاعر فقال الوليد سمعت كلام عبيدة بن الابرص الكاهن يصدق
ويكذب وما كذب محمد صلى الله عليه وسلم قط فقال اخر انه مجنون
فقال الوليد المجنون يخنق الناس وما خنق محمد قط ثم قام الوليد فانصرف
الى بيته فقال الناس صبا الوليد بن المغيرة فدخل عليه ابو جهل فقال
ما لك يا ابا عبد شمس هذه قريش تجمع لك شيا يعطونكه زعموا انك
قد احتجت وصبات فقال الوليد ما لي اليه حاجة ولكني فكرت في محمد فقلت
انه ساحر لان الساحر هو الذي يفرق بين الاب وابنه وبين الاخ واخيه
وبين المراة وزوجها فتشاع ذلك في الناس فصاحوا يقولون محمد ساحر
والناس مجتمعون ثم تفت الصيحة في الناس فلما سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر
بقطيفة فانزل الله تعالى يا ايها المدثر • وثالثها انه صلى الله عليه
وسلم كان نايما متدثرا بثيابه فجاه جبريل عليه السلام فهذا المنصب
وايقظه عليه الصلوة والسلام وقال يا ايها المدثر قم فانذر كانه
قال اترك التدثر واشتغل بهذا المنصب الذي نصبك الله تعالى
له والرابع قلنا انه ليس المراد منه التدثر بالثياب فعلى هذا وجوه الاول
قال عكرمة يا ايها المدثر بالنبوه والرسالة وانقلها من قولهم البسه
الله لباس التقوى وزينه برداء العلم • قال ابن العربي وهذا مجاز
بعيد لانه لم يكن نبيا بعد وان قلنا انها اول القرآن لم يكن نبيا بعد
الان قلنا انها ثاني ما نزل • الثاني ان المدثر بالثوب يكون كالمختفي
فيه صلى الله عليه وسلم في جبل حرا كالمتخفي من الناس فكانه قال
يا ايها المدثر بدثار الاختفا قم بهذا الامر واخرج من زاوية الخمول مشتغلا
بانذار الخلق والدعوة الى معرفة الحق • الثالث انه تعالى جعله رحمة للعالمين
فكانه قيل يا ايها المدثر باثواب العلم العظيم والخلق الكريم والرحمة
الكاملة قم فانذر عقاب ربك فصل قوله تعالى يا ايها
المدثر ملاطفة بالخطاب من الكريم الى الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر
عنه بصفته ولم يقل يا محمد كما تقدم في المزمل فصل ومعنى
قوله تعالى فانذر اي خوف اهل مكة وحذرهم العذاب ان لم
يسلموا وقيل الانذار هنا اعلامهم بنبوته عليه الصلوة والسلام
لانها مقدمة الرسالة وقيل هو دعاوهم الى التوحيد لانه المقصود
وقال الفراء قم فصل امر بالصلوة قوله وربك فكبر قدم المفعول
وكذا ما بعده ايذانا بالاختصاص عند من يرى ذلك او للاهتمام
قال الزمخشري واختص ربك بالتكبير ثم قال ودخلت الفاء لمعنى الشرط
كانه قيل ومهما تكن فلا تدع تكبيره وقد تقدم الكلام في مثل هذه الفا
عند

عند قوله تعالى واياي فارهبون • قال ابو حيان وهو قريب مما قدره
النحاة • قال ابو الفتح الموصلي يقال زيدا اضرب وعمرا اشكر وعنده
ان الفا زايدة • وقال الزجاج ودخلت الفا لمعنى الجزا • والمعنى قم فكبر ربك
وكذلك ما بعده فصل معنى قوله وربك فكبر اي سيدك ومالكك
ومصلح امرك فعظمه وصفه بانه اكبر من ان يكون له صاحبة او ولد وفي
الحديث انهم قالوا بم نفتتح الصلوة فنزل وربك فكبر اي صفه بانه اكبر
قال ابن العربي وهذا القول وان كان القول يقتضي بعمومه تكبير الصلوة
فانه يراد فيه بكثير التقديس والتنزيه بخلع الانداد والاصنام دونه
ولا يتخذ وليا غيره ولا يعبد سواه • وروي ان ابا سفيان قال يوم احد
اعل هبل فقال صلى الله عليه وسلم قولوا الله اعلا واجل وقد صار هذا
القول يعرف الشرع في تكبير العبادات كلها اذانا وصلوة بقوله الله اكبر
وحمل عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الاطلاق وموارده
منها قوله تحريمها التكبير وتحليلها والشرع يقتضي اعرف ما يقتضي بعمومه
ومن موارده اوقات الاهلال بالذبايح تخليصا له من الشرك واعلانا
باسمه بالنسك وافراد الما شرع من امره بالسفك والمنقول عن النبي
صلى الله عليه وسلم في التكبير في الصلوة هو لفظ الله اكبر • وقال
المفسرون لما نزل قوله تعالى وربك فكبر قام النبي صلى الله عليه وسلم
وقال الله اكبر فكبرت خديجة رضي الله عنها وعلمت انه وحي من الله
تعالى ذكره القشيري • وقال الكلبي وعظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان
قال مقاتل هو ان يقول الله اكبر • وقيل المراد منه التكبير في الصلوة
فان قيل هذه السورة نزلت في اول البعث ولم تكن الصلوة واجبة
والجواب لا يبعد انه كانت له عليه الصلوة والسلام صلوات تطوع فامر
ان يكبر ربه فيها • قال ابن الخطيب وعندي انه لما قيل له قم فانذر
قوله وثيابك فطهر قيل المراد بالثياب الملبوسة فعلى الاول
يكون المعنى وعملك فاصلح قاله مجاهد وابن زيد والسدي • وروى
منصور عن ابي رزين قال يقول وعملك فاصلح واذا كان الرجل خبيث
العمل قالوا ان فلانا خبيث الثياب واذا كان الرجل حسن العمل قالوا
ان فلانا طاهر الثياب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم يحشر المرء
في ثوبيه الذي مات فيهما يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي •
ومن قال المراد به القلب فالمعنى وقلبك فطهر قاله ابن عباس وسعيد
ابن جبير رضي الله عنهما ومنه قول امرء القيس

فسلي ثيابي من ثيابك تنسل • اي قلبي من قلبك • قال الماوردي
وله في تاويل الاية وجهان • احدهما المعنى وقلبك فطهر من الاثم والمعاصي
قاله ابن عباس وقتادة • الثاني وقلبك فطهر من الغدر اي لا تغدر
فتكون دنس الثياب وهو مروي عن ابن عباس ايضا واستشهد
بقول غيلان بن سلمة الثقفي

فاني بحمد الله لا ثوب غادر • لبست ولا من غدرة اتقنع •

ومن قال المراد به النفس قال معناه ونفسك فطهر اي من الذنوب
والعرب تكني عن النفس بالثياب قاله ابن عباس رضي الله عنه
ومنه قول عنترة

فشككت بالرمح الطويل ثيابه • ليس الكريم على القنا بمحرم

وقول امرء القيس المتقدم ومن قال انه الجسم قال المعنى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)